السائح والتمثـــال

بقلم الدوبالانسكي

للأستاذ محمد لطفي جمعة

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وعند ما تنبه من غشيته رأى نفسه يرفل في ثياب جديدة كثياب الكهنة وقد حلق شعره وقلمت أظافره وأحس أنه قد تبدل وقد نسي ماضيه وكأنه يعيش في الهيكل منذ ولدته أمه . وإذ كان يسير في أحد أبهاء الهيكل ساهياً عن ماضيه ، لاهياً عن حاضره لمح تمثالا نصفياً من الحجر الأزرق .. يمثل سيدة امرأة ، ويقوم على قاعدة صغيرة من المرمر الأبيض ، فشعر بهبوط في قوته وأن شيئاً خفياً يجذبه نحو التمثال الأزرق ولم يخطر بباله أنه تمثال إينوبيا ، تلك المرأة التي أحبته ونسيها ، ولكنها فجأة لاحت سيدتها أمام عينيه فشعر أولا بأنه نسيها نسياناً مطلقاً .. ثم بدأت عوالم الشعور والأحلام والأفكار المطمورة في أعماق روحه — كما لو كانت في قرارة بحر عميق ، تهب وتنهض وتستيقظ وتبعث وتطفر وتقفز وتدور وتشتعل وتحيا من جديد ؛ وفي تلك اللحظة نفسها مر به الكاهن الذي ناقشه عند وصوله فحياه ، ووقف له كمن ينتظر أنه سوف يخاطبه أو يلقي عليه سؤالا

وفي الواقع لم يخيب السائح رجاء الكاهن وقال له وهو لا يملك أن يحول نظره عن التمثال وقد استولت عليه رعشة ورجفة مصاحبتين للبعث الذي شعر به في روحه !

— ٣ —

— أتسمح يا سيدي أن أسأل عن صاحبة هذا التمثال من تكون ؟

— فقال الكاهن وهو يبدي عدم الاكتراث : إنه تحفة ثمينة وتكاد تكون مقدسة ، لأنه من صنع مثال لامرأة كان يحبها منذ خمسمائة سنة ... فبهت السائح ثم استجمع قوته وقال

— وما كان اسمها ياسيدي؟ أقصد إلى الفنان والمرأة ..

فسأله الكاهن «وهل يكرثك الأمر إلى حد أنك تود أن تقف على اسم فنان مطمور ، وتمثال صغير ، مضى عليهما خمسة قرون؟ إن كان اسمهما يهمك فاعلم أن المرأة كانت تدعى إينوبيا ، والمثال فيدور . فدارت الدنيا بالسائح ، لأن فيدور كان اسمه هو ، وأحس بأن الأرض تميد تحت قدميه ، ولكنه تجلد واستنجد بكل ما كان له من قوة إرادة وعزم ليبقى قائماً على عوده . وفي لحظة شعر بأنه لن يقوى على الوقوف فتحامل على قدميه حتى دنا من التمثال وارتكن إليه « فيدور — إينوبيا » وقد رأى الكاهن كل ماجرى له ، ولكنه لم يمد له يد المعونة ولم ينطق بكلمة وقد كمن لا يريد أن يضن على صاحبه بجواب على سؤال ، وان يتعدى هذه الحدود ، فلما ظن السائح أنه قد استعاد شيئاً من قوة جسمه وروحه قال :

أيمكن يا سيدي أن يتكرر اسم شخصين بعينهما وجنسهما وهيأتهما وخلقهما في فترتين من الزمن أو فترات عدة ؟

فقال الكاهن : لم أفهم سؤالك وإن كنت أوشك أن أستشف معنى بعض ما ترمي إليه . تقول إنك إذا كنت أنت فيدور وقد أحببت امرأة اسمها إينوبيا في حياتك هذه وعصرنا هذا فهل يمكن أن يكون قد عاش قبلكما في ماض قريب أو سحيق شخصان مثلكما مخلوقان على شاكلتكما ؟ وهل هذان الشخصان هما نفسهما اللذان عاشا في الماضي والحاضر ، أم أنهما خلقا على غرار السابقين لهما ؟ إن لم يكن إدراكي قد اقترف جناية الخيانة العظمى فلا بد أن يكون هذا محور سؤالك أو نحوه .

فخارت قوى فيدور لحداثة عهده بقوة الروح التي توحي مثل هذا الكلام وذلك العلم الكشاف . وقال : نعم نعم هذا سؤالي بعينه . فابتسم الكاهن وقال : إن هذا الذي تخيلته من أبسط الأشياء . إنه الحقيقة بعينها ، وإنها لاتدعو إلى الحيرة التي تبدو عليك .. ثم قال له : ادنُ من التمثال والمسه .

فقال السائح : لن أجسر على لمسه . إنه في نظري أقدس من أن يمس . فقال الكاهن : لم يدر بخلدي أن شاعراً متحرراً مثلك يعيش في هذا القرن العشرين تستهويه تحفة مصنوعة منذ خمسمائة عام . على أن الجمال ليس مطلقاً ولا تاماً ولا قريباً من

الكمال فإن الأذنين أدق من الآذان الأنثوية وفى الأنف شذوذ لا يجعل صاحبته ذات فتنة .

فقال السائح سامحنى يا سيدى الكاهن إذا لم أوفق إلى رضائك بقبول نقدك فانك لا تعلم ما أعلم ولا تشعر بما أشعر . فأدار الكاهن وجهه ليخفى ضحكة غامضة . واستمر فيدور فى حديثه فقال : إنه ليس شبهاً ، ولكنه صورة طبق الأصل ، ولعله أكثر من هذا بعد الذى قلته لى فهو نوع من استعادة الحياة نفسها فى هذا الحجر الأزرق وذاك المرمر المسنون . بالله عليك يا سيدى الكاهن خبرنى كيف استطاع مثال عاش فى القرن الخامس عشر أن يتخيل ثم ينحت فى الحجر الصلد الأزرق هاتين الأذنين الدقيقتين وأن يجعلها جميلتين مرهفتين كما رأيتهما وشعرت بجمالها ؟ فقال الكاهن : تقول إنه تخيل ثم نحت ؟ على رسلك ياسيدى ، إنه لم يتخيل ولكنه رأى وأحب وتعذب . فقال فيدور : رأى الأذنين الجميلتين المرهفتين كما رأيتهما وعرفتهما وشعرت بجمالها ...

فقال الكاهن وهو يبتسم ابتسامة غامضة ماكرة : وهل تمكن ذلك المثال الحاذق أن يكسب العينين شيئاً من الشبه يقربهما إلى ذاكرتك كما صنع بالأذنين ؟

قال السائح : العينان تكادان تشعان بنورهما الإنسانى وهذه الجبهة العالية المشرقة التى خلعت على صاحبتها جمالا ونبلا ، ثم هذا الأنف الشاذ الذى كانت إينوبيا تزعم أنها عثرت وهى طفلة تجرى وتمرح فأصابها جرح جعل أنفها كما هو .

فقال الكاهن : عجباً عجباً ! أراك تتذكر كل شىء عن تلك التى أحببتك وهجرتها ، بل فررت منها ، ومن العالم الذى يحتويها .

— ٤ —

فقال السائح : الآن لا أفر منها وقد جمعتنى بها المقادير .

الكاهن : ولو كانت صخرة صماء لا تنطق كهذه ؟

السائح : لا تنطق ؟ إن فمها بشفتيه الرقيقتين يكاد يناديني !! بربك قل لى بأية معجزة تخلق امرأتان بهذا الشبه المحير ، وتعيشان فى زمانين مختلفين ، وهل تظن أن تلك المرأة التى نقل عنها ذلك المثال البائد ، كانت تشبه إينوبيا كل المشابهة .

فتجهم وجه الكاهن وقال : لا تقل المثال البائد ، فإننا فى عالم لا تبيد فيه ذوة فكيف تبيد فيه الأرواح والإرادات ؟ وأظن أن المشابهة لم تكن مقصورة على الوجه بل كانت شاملة للخلق والروح . لا شك عندى فى ذلك يا سيدى !

وعند ما سمع السائح هذه الكلمات أسف على ما كان منه نحو تلك التى أحبته وشعر أن إينوبيا كانت ملكا أرسل إليه لانقاذه فى صورة خفية ، ونظر إلى الكاهن قائلا :

وهل استعادة الماضى مستحيلة ؟

ولماذا تريد أن تستعيد الماضى الذى خلصت منه ؟

— لقد كنت خادعاً ومخدوعاً ، فإنه لا يستطيع أحد أن يخلص من ماضيه ، ولا أن يعيش بدونه مهما كان محفوفا بمكاره الذكريات . إنى أحاول جهدى أن أستجمع صورتها الكاملة فلا أقدر على ذلك .

فقال الكاهن : ليس هناك ماض ولا حاضر ولا مستقبل . الزمان واحد والمكان واحد . وليس الماضى آنية ثمينة تحطمت فتنحنى ثم تركع لتجمع شذراتها المتناثرة لتعيد إليها الحياة بالرتق والترقيع كالثوب القديم . إن الحياة وحدة منسجمة لا تتجزأ أو لا تتمزق ولا تتغير ألوانها . وصار الكاهن فى طريقه . فما كان أشد فرح السائح عندما ظفر بهذا الروح الجديد ينبعث إلى قلبه وعقله ! ورأى فى أول الأمر أن يتشبث بالتمثال فاستمسك به حيناً ، ثم استغنى عنه لأنه وجد التطهير فى قلبه ، وعلم أن تلك التى أهمل شأنها كانت هى التى أنقذته من الخبث والحقد والحسد ومحاولة التحديق فى وجه خالقه ، وهى التى قادت قدميه فى غفلة من إرادته ، ويقظة من روحه ، إلى هيكل نيبوس إله النور . إذا كانت إينوبيا وفيدور قد عاشا وتألما وتمتعا فى حياة سابقة على الحاضر بخمسمائة عام خلت ، فهذا هو الخلود نفسه ، وهذا هو الدوام الذى لا فناء بعده . لقد قصد إلى الهيكل هارباً من الدنيا لما راعه ما بها من فساد وهاله ما فيها من تهتك ، وأدهشه ما رضيه أكثر أهلها من إباحة ، فاذا يصنع وهو لا يملك أن يطهر الدنيا ولا سيما مدينته مما عراها ، ولا يقدر على أن ينفى أهل الخلاعة والخيانة والغدر من أوطانهم ؟ وعند ما بلغ تلك النقطة من التفكير سمع صوتاً من نفسه يناديه :

فيدور ! أيها الهارب ! طهر نفسك أولا ، فإذا بلغت هذه الغاية فقد صرت قادراً على تطهير الآخرين ...

محمد لطفى جمعه المحامى

عدد « الرســـالة » السنوى « الممتـــاز »

سيصدر عددنا السنوى الممتاز فى اليوم الخامس من شهر يناير سنة ١٩٤٨

حافـــلا على عادته

بالبحوث الاسلامية والأمجاد العربية

لنـــابهى الكتاب

فى مصر والأقطار العربية

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها
بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى اللوكاندات

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة لوكاندات الوجه القبلى واللوكاندات الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ لغاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٨ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى اللوكاندات المبينة بعد . الأجرة الشاملة عن ٥ أيام و ٤ ليالى من القاهرة

اسم اللوكاندة	الدرجـــة	مليم جنيه
لوكاندة وتر بالاس بالاقصر	درجة أولى ممتازة	٣٧٠ ر ١٨
لوكاندة كاتاركت باسوان	» » »	٤٩٥ ر ٢٠
لوكاندة الاقصر بالأقصر	درجة أولى	١٧٠ ر ١٦
لوكاندة جراند أوتيل باسوان	» »	٢٩٥ ر ١٨
لوكاندة سافوى بالاقصر	درجة ثانية ممتازة	١٨٥ ر ٩
لوكاندة العائلات بالاقصر	» » »	٤٣٥ ر ٦
لوكاندة المحطة بالاقصر	درجة ثانية	٤٣٥ ر ٦

ويمكن الاستعلام عن كافة البيانات والشروط الخاصة بهذا الموضوع من . محطات مصر والأسكندرية وبور سعيد وبورتوفيق وشركات السياحة المعتمدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

مطبعة الرسالة